جمهورية مصر العربية	١٤ من ذي الحجة ١٤٣٧هـ
وزارة الأوقاف	١٦ من سبتمبر ٢٠١٦م

(١)

نعمة الشكر

الحمد لله رب العالمين ، القَائِلِ في كِتَابهِ الكريمِ: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن سيدَنا ونبيّنا محمدًا عبدُ الله ورسولُه ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه، وعلى آله وصبحه ، ومَنِ تبعهم بإحسان إلَى يَوْمِ الدِّينِ. أما بعد :

فقد أنعم الله (عز وجل) على الإنسان بآلاء كثيرة ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، يقول سبحانه وتعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا}، ومن هذه النعم: نعمة الإيمان، ونعمة الصحة ، ونعمة المال ، ونعمة الولد ، ونعمة الرضا ، وغير ذلك من النعم التي تستحق الشكر ، شكرًا يليق بجلال الله وكماله وعظيم عطائه ، وهو القائل سبحانه:{ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ..}

فالشكر خلق كريم ، أمر الله به عباده ، فقال سبحانه :{.. وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}، وقال تعالى :{وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ}، والشكور من عباد الله تعالى: هو الذي يجتهد في شكر ربه بمداومته على الطاعات ، واستثمار نعم الله (عز وجل) في كل ما يرضيه ؛ لأجل ذلك جعل الله تعالى الشكر سببًا لزيادة واستمرار النعم ودوامها، فقال سبحانه :{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ}، وقال الإمام عليّ (رضي الله عنه) : نعم الله تعالى موصولة بالشكر والشكر يتعلق بالمزيد وهما مقرونان ، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد ، وقال أحد الصالحين : إذا رزقني الله نعمة فشكرته عليها ، فإني أدرك أن التوفيق إلى الشكر نعمة جديدة تحتاج إلى شكر جديد .

ولبيان مكانة الشكر وعظيم منزلته جعله الله (عز وجل) ختامًا للعبادات، فبعد إتمام فريضة الصلاة أوصى نبينا (صلى الله عليه وسلم) بشكر الله تعالى ، حين قال لمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه): (أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ) ، وبعد فريضة الصيام حثنا ربنا سبحانه وتعالى على شكره ، حيث قال:{وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}، ويقول سبحانه في شأن الهدي والأضحية :{وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}.

والشكر دليل على كمال الإيمان، وصفاء النفس، وطهارة القلب، وسلامة الصدر، واعتراف بفضل الله وكرمه على الإنسان ، وقد أخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه سبب في نيل رضا الله (عز وجل)،

حيث قال: (إنَّ اللَّه لَيرضى عنِ العبْدِ يَأْكُلُ الأكْلَةَ فَيحْمَدُهُ عَليْهَا، وَيَشْرب الشَّرْبَةَ فَيحْمَدُهُ عَلَيْهَا).

ويكفي في بيان فضل الشكر ومكانة الشاكرين أن الله تعالى جعله من أسمائه الحسنى، فقال سبحانه :{ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ}، فالشكر من الله معناه: مغفرة وإنعام ، وبركة وإحسان ، لمن عبده سبحانه بصدق وإخلاص ، يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) :(بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَه).

كما يكفي لبيان مكانة الشكر أن الله تعالى جمع بينه وبين الإيمان، فقال تعالى:{مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا}.

وقد كان الشكر خلقًا ملازمًا لأنبياء الله (عليهم السلام) ، فنوحٌ (عليه السلام)، وصفَه ربُّه بقوله:{إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا}، وإبراهيم (عليه السلام) أثنى عليه ربُّه بقوله:{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}، وسليمان (عليه السلام) حين نظر إلى ما خصّه به ربُّه من نعم ، دعا الله (عز وجل) أن يعينه على شكره ، فقال تعالى على لسانه (عليه السلام) :{رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) .

أما نبيُّنا محمدٌ (صلى الله عليه وسلم) ، وهو الذي قد غفرَ الله له ما تقدّم من ذنبِه وما تأخّر، فكان يقومُ الليل حتى تتفطَّر قدماه، ويقول: (أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟).

فشكرُ الله تعالى واجبٌ في جميع أحوال الإنسان: في صحته ومرضه، وشبابه وشيخوخته ، وفقره وغِناه، وفراغه وشّغله، وفرحه وحزنه ؛ لذا رغّب الله (عز وجل) فيه ، فقال سبحانه:{فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ}، ويقول نبينا (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ) ، ولا يتوقف شكر الله تعالى على اللسان فقط ، بل يكون بالقلب وبالجوارح وبالعمل ، وبناء على ذلك فإن شكر النعم يكون باستخدامها في طاعة الله عز وجل ، فإذا منحك الله تعالى نعمة الصحة فشكرها يكون بإعانة الكبير والضعيف ، واستثمارها في العمل والإنتاج، والإعمار والبناء ؛ رفعة لدينك وقوة لوطنك ، لا أن تضيعها فيما نهى الله عنه أو في التسول والكسل والبطالة والتواكل ، أو الإفساد في الأرض ، وإذا منحك الله نعمة النظر فشكرها أن ترى بها نعم الله لا أن تسلطها على عورات الناس ، وإذا منحك الله نعمة الأذن فينبغي أن تستمع بها إلى الحق لا إلى الباطل ، وإذا منحك الله نعمة المال فشكرها الإنفاق، ولذا قال

سبحانه : {اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا }، ولم يقل قولوا شكرًا فحسب ، فكل نعمة أنعم الله بها على الإنسان يجب أن يشكر الله تعالى عليها ، ويتحقق شكرها بتسخيرها لمنفعة البلاد والعباد طاعة لله ورسوله ، ونصرة للدين والوطن.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

الحمد لله رب العالمين ، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

للشكر فوائد كثيرة وعظيمة منها : أن الله تعالى يحفظ به النعم من الزوال ويزيدها لصاحبها ويضاعفها له ، فإذا أردت صيانة النعمة فلا تنس شكر الله لأنه وحده القادر على حفظها وصيانتها ، فَإِذَا اسْتَيْقَظَ الإنسان من نومه فليبدأ بحمد الله وشكره قائلا:(الحمدُ للهِ الذي أحيانَا بعد ما أماتنا، وإليه النشور)، وإذا ركب دابة أو نحوها أو أي وسيلة انتقال قال:{سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ * وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ}، وإذا أكل قَالَ:(الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا الطَّعَامَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ) ، وإذا لَبِسَ ثَوْباً قَالَ: (الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ).

ومن أكبر نعم الله على عباده التي تستحق دوام الشكر نعمة الأمن والأمان قال سبحانه: { فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ}، ويقول سبحانه : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ }، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا) .

فالشكر يحفظ النعم الموجودة ، ويجلب النعم المفقودة، فالنعم موصولة بالشكر ، ولقد جمع الله (عز وجل) هذا المعنى في قوله سبحانه: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}، ومن شكر الله تعالى وداوم على شكره وعده الله بأجر الصائم الصابر ، فنبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول: (إِنَّ لِلطَّاعِمِ الشَّاكِرِ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَ مَا لِلصَّائِمِ الصَّابِرِ)، كما أن الشكر أمان من عذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة، قال تعالى:{ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم}، كما أن الشكر يكون سببا في تحقيق رضا الله تعالى في الدنيا والآخرة ، قال سبحانه:{وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ}، نسأل الله (عزّ وجلّ) أن يجعلنا من الشاكرين الذاكرين ، وأن يعيننا على ذكره وشكر نعمه وحسن عبادته .